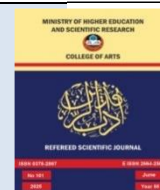


Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab/



Motives for the interest of the administration of President George H. W. Bush towards Sudan

Aminah Mohammed Talyea
Department of History /College of Education for Humanities/University of Mosul/ Mosul-Iraq

Sufyan Yassin Ibrahim
Department of History/ College of Education for Humanities/University of Mosul/ Mosul- Iraq

Article Information

Article History:
Received **Mar 9/2024**
Revised **Mar 21 /.2025**
Accepted **Mar23/ 2025**
Available Online December, 2025

Keywords:
Emirate
Cordoba
Christians
Spain

Correspondence:
Aminah Mohammed Talyea
amina.23ehp80@student.uomosul.edu.iq

Abstract

Ancient civilizations approached the concept of madness and mental disorders from a religious and spiritual perspective, as beliefs prevailed that mental illnesses were caused by mysterious forces such as evil spirits, possession by jinn, or the influence of magic and the evil eye. It was also linked to a person losing his mind as a result of the wrath of the gods, which led to the emergence of different social practices for dealing with those afflicted with these conditions, as was prevalent in Egyptian and Babylonian civilizations. These beliefs were reflected in treatment methods, which were characterized by magic, spells, and complex religious rituals. The belief in the influence of supernatural powers remained present for long periods, and with the passage of time these perceptions began to gradually decline in favor of scientific explanations, as the nature of psychological disorders was reconsidered as resulting from brain functions and not from supernatural beings, especially after Hippocrates (460-357 BC) was able to conduct a medical study separate from religion, refuting the idea of evil spirits and confirming the existence of a malfunction in the body's functions and not related to the curse of the gods. He saw that psychological illnesses, like other physical illnesses, stem from internal problems in the body and not from external influences. This shift reflected the development of human understanding of the concept of madness and its causes, and contributed to the development of more effective treatment methods based on scientific foundations, the importance of choosing the research topic lies in tracing the development of the view of madness throughout the ages, as well as understanding the extent of the influence of beliefs on the methods of treating the insane. The research in this topic relied on a historical and critical analysis of the development of concepts related to madness and mental illnesses, with a focus on reviewing the impact of those transformations that occurred on the concept of madness and on the methods of treatment and societal practices.

DOI 10.33899/radab.2025.158062.2335, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.

البُعد التاريخي لمفهوم الجنون منذ الحضارات القديمة وحتى العصر الجاهلي

آمنه محمد طليع *   سفيان ياسين ابراهيم **

المستخلص:

تناولت الحضارات القديمة مفهوم الجنون والاضطرابات النفسية من منظور ديني وروحاني، إذ سادت الاعتقادات بأن الأمراض العقلية ناتجة عن قوى غامضة كالأرواح الشريرة وتلبّس الجن أو تأثير السحر والعين كما ارتبط بفقدان الإنسان لعقله نتيجة غضب الآلهة ، ما أدى إلى نشوء ممارسات اجتماعية مختلفة للتعامل مع المصابين بتلك الحالات كما كان سائداً في الحضارة المصرية والبابلية وهذه المعتقدات انعكست على طرائق العلاج، التي اتسمت بالسحر والتعويذات والطقوس الدينية المعقدة، وبقي الاعتقاد بتأثير القوى الخارقة حاضراً لأوقات طويلة ، ومع مرور الزمن بدأت هذه التصورات تتراجع تدريجياً لصالح التفسيرات العلمية، اذ اعيد النظر في طبيعة الاضطرابات النفسية بوصفها ناتجة عن وظائف الدماغ وليس عن كائنات غيبية لاسيما بعد ان استطاع ابقراط (460-357ق.م) اجراء دراسة طبية منفصلة عن الدين داحضة فكرة الارواح الشريرة وتأكيده على وجود خلل في وظائف الجسم ولا علاقة بلعنة الآلهة, ورأى أن الأمراض النفسية مثل غيرها من الأمراض الجسدية تنبع من مشاكل داخلية في الجسم وليس من تأثيرات خارجية, عكس هذا التحول تطور الفهم البشري لمفهوم الجنون ومسبباته، وأسهم ذلك في تطور أساليب علاجية أكثر فعالية قائمة على أسس علمية؛ وتكمن اهمية اختيار موضوع البحث في تتبع تطور النظرة الى الجنون عبر العصور فضلاً عن فهم مدى تأثير المعتقدات في طرائق علاج المجانين, اعتمد البحث في هذا الموضوع على تحليل تاريخي ونقدي لتطور المفاهيم المتعلقة بالجنون والأمراض النفسية، مع التركيز على استعراض أثر تلك التحولات التي طرأت على مفهوم الجنون وعلى طرائق العلاج والممارسات المجتمعية.

الكلمات المفتاحية: السحر، الجنون، الحضارات, الاغريق

المقدمة:

كان جهل الإنسان البدائي بالأسباب الطبيعية والظواهر المحيطة به دافعاً للجوء إلى الغيبيات لتفسير ما يعجز عن فهمه, فبدلاً من الفهم العلمي رأى الإنسان البدائي في الكائنات غير المرئية التي تحيط به تفسيرا لكثير من الظواهر التي يصعب عليه إدراكها, وبمرور الزمن أصبحت تلك الكائنات الخفية، مثل(الجن)، تفسيراً شائعاً ليس فقط للظواهر الطبيعية، بل أيضاً لكل سلوك شاذ أو مرض جسدي أو عقلي يصيب الإنسان؛ تناول البحث البُعد التاريخي لمفهوم الجنون في الامم والحضارات القديمة و مفهوم الجنون في العصر الجاهلي اذ قُسم الى مقدمة وخمسة محاور رئيسة ركزت على ايضاح مفهوم الجنون في الحضارات المصرية والعراقية والهندية والفارسية فضلاً عن تسليط الضوء على التطور اللافت الذي طرأ على مفهوم الجنون عند الاغريق وكيف ادى ذلك الى تغيرات جذرية في مفهوم الجنون.

اولاً: مفهوم الجنون في الحضارتين المصرية والعراقية:

في الحضارات القديمة اعتُقد أن كل من يعاني من انحراف مزاجي أو أعراض مرضية غريبة، هو مصاب بمسّ من الجن، سواء كان ذلك بسبب السحر أو عقوبة لارتكاب معصية(1)؛ وكانت المجتمعات البدائية تضم مجموعة من السحرة الذين ادّعوا قدرتهم على التواصل مع الجن وإقناعهم بالتخلي عن الشخص المصاب, وفي بعض الأحيان لجأ هؤلاء السحرة إلى وسائل قاسية لإخراج الجن، مثل استخدام الكي، أو بتر أجزاء من الجسد، أو العزل عن المجتمع، أو حتى التعذيب، بهدف إرضاء الجن أو الآلهة(2) .

وتشير الأدلة الأثرية إلى أن عملية ثقب الجماجم كانت تُمارس منذ العصر الحجري، ويُعتقد أن تلك العملية كانت تُجرى لعلاج بعض الأمراض العصبية والنفسية، وقد استُخدمت أدوات مثل شظايا الصوان الحادة لإجراء تلك الجراحة البدائية ويُعتقد أن الهدف من هذه العملية كان تخفيف الضغط داخل الجمجمة أو إخراج الأرواح الشريرة التي كانوا يظنون أنها دخلت رأس المريض وتسببت في الأعراض العصبية أو النفسية(3) .

*** قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة الموصل/ الموصل – العراق**
**** قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة الموصل/ الموصل – العراق**

1) الاحمد, سامي سعيد, المعتقدات الدينية في العراق القديم, المركز الاكاديمي للابحاث,(بيروت:2013م),ص70؛صدقي, محمد جابر ، تاريخ الطب العربي, (مركز تعريب العلوم الصحية ,الكويت:2015م),ص63.
2) اسعد, يوسف ميخائيل، العبقرية و الجنون, (دار غريب, القاهرة:2001م),ص41.
3) السامرائي, كمال، مختصر تاريخ الطب العربي, (دار النضال ,بيروت: د.ت),27/1.

ففي الحضارة المصرية القديمة كان يُنظر إلى الجنون والأمراض العقلية على أنها قد تكون نتيجة لعقوبة إلهية أو اضطرابات روحية, و اعتقد المصريون القدماء أن الأمراض النفسية والعقلية كانت تتعلق بتوازن القوى الإلهية والروحية, اذ دلت بعض الوثائق القديمة، مثل البرديات الطبية والكتابات التي كشفت عنها الحفريات على اعتراف المصريين القدماء ببعض الأعراض التي تتعلق بالاضطرابات النفسية(1), وكانوا يميلون الى استخدام التعاويذ السحرية والرقى واللجوء الى الكهنة والتنجيم وتناول بعض الاعشاب والعقاقير لمعالجة الجنون(2) .

كما في معبد(3) مدينة ممفس الذي يتوافد اليه المرضى العقليون طلباً للشفاء من خلال ممارسة الطقوس الدينية كالصوم والاغتسال والتطهر بالمسحة المقدسة التي تسبق الدخول الى المعبد للمبيت فيه(4), وكان يسمى (معبد النوم) وعُدّ جزءًا من الأساليب العلاجية النفسية المستخدمة في مصر القديمة ، وكان المعبد مركزاً للعلاج بالنوم ، اذ اعتمدت دورة العلاج فيه بقدر كبير على مظاهر ومضمون الأحلام ، التي كانت بالضرورة تتأثر تأثراً بالغاً بالمحيط النفسي والديني للمعبد ، وبالثقة المطلقة في القوى الخارقة للآلهة و للكهنة، كذلك تم العلاج بالأعشاب والعقاقير اذ كان العلاج يجمع بين العقاقير الطبية والنصائح الروحية والطقوس(5).

كان المرضى يلجؤون إلى المعابد للمبيت، اذ يقضي المريض الليل في المعبد ليتلقى حلماً يحمل رسالة من الآلهة, وفي اليوم التالي يقصّون أحلامهم على الكهنة الذين كانوا كـ(الأطباء الروحيين) لتفسير تلك الأحلام ويقدمون وصفات علاجية أو طقوساً تطهيرية بناءً على تلك التفسيرات، اذ كانوا يؤمنون أن الآلهة نفسها هي التي توجه العلاج عبر الحلم(6), في اعتقادهم أن الأحلام تحمل رسائل من الآلهة أو القوى الروحية, وأنها تُعد وسيلة للتواصل مع العالم الخفي, لذلك، كان تفسير الأحلام جزءاً أساسياً من العلاج الروحي، وبالأخص في المعابد التي أدت دوراً مهماً في عملية الشفاء, ويقوم بمهمة العلاج بعض رجال الدين داخل المعبد، الذين اطلق عليهم (المعالج المقدس) لأنهم قاموا بدور الوسيط بين العالم الإنساني والعالم الروحي(7) .

وتضمنت أقدم البرديات التي تم اكتشافها تشخيصات لأنواع من الاضطرابات النفسية مثل الهستيريا والاكتئاب والانتحار، اذ قدمت تفسيرات لأسباب تلك الأمراض وطرائق علاجها, وقد أشارت إلى أن بعض الاضطرابات العقلية قد تعود إلى التلوث البيئي أو أسباب غامضة وغير معروفة، لكن الغالبية العظمى كانت تُنسب إلى مس الشيطان أو تأثير أرواح الموتى التي تتقمص جسد المريض وتسيطر عليه, لذلك كان يُعدُّ إتقان طقوس السحر أمراً ضرورياً لطرد هذه الأرواح وتخليص الجسد من تأثيراتها الشريرة(8) .

واعتقد البابليون بأن هناك علاقة بين الارواح الشريرة وبعض الاضطرابات النفسية تؤدي الى الجنون فضلاً عن اعتقادهم ان اعمال السحرة والمكر الشيطاني والعين الشريرة واقتراف المحرمات أسباب تؤدي إلى الجنون , وكانوا يرون أن التلبس بهذه الأرواح الشريرة قد يكون نتيجة للقدر أو عقاباً على تلك الافعال(9) , واعتقدوا أن المرض من غضب الآلهة على المذنبين من البشر أو من صنع الارواح الشريرة (10) وتلك الارواح تدفع الانسان إلى الخطيئة فتنزل الآلهة عقابها على المذنب بشكل أعراض وعلامات مرضية فالأرواح الشريرة كالاداة للغضب الالهي الذي يصيب الانسان المذنب(11) .

وكانوا يرون أن لكل مرض شيطانًا مسؤولًا عنه، فالأرواح الشريرة التي تسبب الجنون كانت تُعرف باسم (إيديتا), وكانت هذه الأرواح تُعدُّ القوى الخفية التي تؤدي إلى حدوث هذا النوع من الأمراض العقلية، مما جعل التعامل مع تلك الأرواح جزءاً أساسياً من علاج الاضطرابات النفسية(12) , وان المسؤول عن مرض الصرع، الذي اعتبروه أحد أعراض الشيطان، يُدعى (ميغتو), وقد كانوا يرون أن هذا الشيطان هو الذي يتسبب في نوبات الصرع ويؤثر على المصابين به، مما جعل التعامل معه جزءاً من المعتقدات والعلاجات المرتبطة بذلك المرض(13), وعُثر على نص آشوري عام (650ق.م) تقريباً جاء فيه:

---

4)باقر, طه, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة,دار الوراق للنشر,(بغداد:2011م),176/2-177؛عكاشة، احمد وطارق, الطب النفسي المعاصر,مكتبة الانجلو المصرية(القاهرة :2010م),ص29.

5)المعلوف,عيسى اسكندر' تاريخ الطب عند الامم القديمة والحديثة, (مؤسسة هنداوي ,القاهرة:2014م),ص10.

1)المعبد:مكان مخصص لعبادة الآلهة,ويصمم بطريقة تعكس مكانة الآلهة , ويستخدم ايضاً لتقديم العلاج للمرضى.

2)كيتل ,كلود, تاريخ الجنون من العصور القديمة حتى يومنا هذا,سارة رجائي يوسف و كرستينا سمير فكري, (مؤسسة هنداوي, القاهرة:2014م),ص15.

3)عكاشة, الطب النفسي المعاصر,ص29.

4)كيتل ,تاريخ الجنون,ص15.

5)الحبيب ,طارق بن علي , لمحة موجزة عن تاريخ الطب النفسي في بلاد المسلمين,(دار المسلم للنشر,الرياض:1999م),ص12.

6)باقر, مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة,176/2؛ عكاشة, الطب النفسي المعاصر,ص30–33.

7)عبد الحليم, نبيلةمحمد ,معالم العصر التاريخي في العراق القديم,دار المعارف,(القاهرة:1983م),ص198؛ بورتر, روي ,موجز تاريخ الجنون,ترجمة ناصر مصطفى, (هيئة ابوظبي 8)للثقافة والتراث, ابو ظبي:2012م),ص21.

9) سليمان,عامر,رأي في نشأة المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين,مجلة آداب الرافدين,(جامعة الموصل:2001م),عدد34,ص10.

10)للمزيد ينظر يحيى, اسامة عدنان, السحروالطب في الحضارات القديمة,اشوربانيبال للكتاب,(بغداد:2016م),ص81 –82.

11)الاحمد,المعتقدات الدينية في العراق القديم,ص73-74؛كيتل ,تاريخ الجنون,ص16؛ غليونجي,بول, قطوف من تاريخ الطب,(دار المعارف, القاهرة:د.ت),ص51.

12)بورتر, موجز تاريخ الجنون,ص21.

((إذا اتفق لحظة التلبس، أن يكون المرء جالساً، وتحركت عينه إلى الناحية الأخرى، وتدفق اللعاب من فمه، واختلج الجانب الأيسر من جسده مثل نعجة مذبوحة، فذلك هو الشيطان ميغتو, وإذا كان عقل المرء الموسوس، واعياً لحظة التلبس، فمن الممكن طرد الشيطان من جسده أما إذا لم يكن واعياً فمن المستحيل طرده))[1] .

وتم التمييز بين أنواع مختلفة من الجنون بناءً على الأعراض التي يعاني منها الشخص, فقد يكون الشخص مصاباً بنوبات حادة أو خفيفة من الصرع، أو قد تبدأ تراوده أفكار الاضطهاد والاعتقاد بأن الآلهة غاضبة عليه, كما قد يُصاب بالهلوسة أو يعاني من شعور دائم بالرعب والفزع, هذه الفروق في الأعراض كانت أساسية في فهم وتحديد نوع الاضطراب العقلي وطريقة التعامل معه[2] .

وفسر الأطباء سبب المرض أيضاً من خلال اعتقادهم بأن أجساماً غير مرئية تدخل الجسم عبر الهواء في أثناء التنفس، أو من خلال الطعام والشراب، أو من الأوساخ عبر الجلد, لذلك، وصفوا التعاويذ والرقى لطرد الروح المسببة للمرض[3],واللجوء إلى العرافين والسحرة للعلاج، واستخدموا التعويذات والرقى والطلسمات وبعض العقاقير وبعض المطيبات[4] والمراهم كوسائل أساسية للتخفيف من الأمراض النفسية والجسدية, وتلك الطقوس والعلاجات كانت تُعد جزءاً لا يتجزأ من محاولات الشفاء وإبعاد الأرواح الشريرة التي كانوا يعتقدون أنها سبب تلك الاضطرابات[5] .

وقد عُثر على الكثير من الوصفات الشفائية والعلاجية والعقاقير الطبية التي كانت مستعملة من قبل الأطباء الكهنة في بابل، وفي تلك الوصفات ذكر لرقى عديدة، وبعضها يتضمن عقاقير نافعة للبدن، ولكن هؤلاء الأطباء الكهنة كانوا يمزجون العقاقير أحياناً بمواد خبيثة كبعض النباتات السامة على زعم أنها تزعج الأرواح الشريرة المسببة للمرض فتهجر جسم المريض ويبرأ وكانوا يعتقدون أن رياح الخماسين الحارة التي كانت تمر ببلاد الرافدين إنما هي من خوف الهواء من خبيث يحدثها، وأن هذه الرياح إذا ما هبت فإنما تهب لإبعاد هذا الجان ووقاية السكان من ضرره وشره (6) .

ثانياً: مفهوم الجنون في الحضارتين الهندية والصينية

في الحضارة الهندية القديمة، أدت الروحانية وعلاقتها بالصحة النفسية والجسدية دوراً كبيراً في فهمهم للمرض والشفاء, اذ تُظهر بعض الكتابات المتوارثة من تلك الحقبة اعتقاداً بأن العواطف والانفعالات الشديدة يمكن أن تؤدي ليس فقط إلى اضطرابات نفسية بل أيضاً إلى أمراض جسدية خطيرة قد تستدعي تدخلاً جراحياً, وكانوا يعتقدون أن الروح بعد وفاة الإنسان تنتقل إلى جسد آخر، وهذا الانتقال قد يسبب اضطرابات عقلية[7] ؛ كانت الاضطرابات النفسية والسلوكية تُعزى إلى قوى خارقة أو مخلوقات أسطورية, فقد اعتقدوا وجود شيطانة خاصة تدعى(غراي)على أنها شيطانة أو كيان أنثوي يتلبس بالناس، ويُعتقد أنها المسؤولة عن التسبب في التشنجات الصرعيّة ,أما عن (الشيطان الكلب) فهو كيان آخر نُسب إليه تلبس البشر والتسبب في جنونهم, اذ كانت الصفات الكلبية مثل النباح والعدوانية تُربط بالجنون, ويُقال إن الأشخاص الذين أصيبوا بهذا النوع من الجنون كانوا يقومون بسلوكيات مشابهة للكلاب، مثل التجوال في المقابر ليلاً, هذا التشبيه بالكلب كان يعكس خوف المجتمعات القديمة من الجنون بوصفه حالة خارجة عن السيطرة وتقترب من الوحشية[8] .

دلت بعض الآثار والرسومات القديمة على أن بعض الهنود القدماء يؤمنون بوجود أرواح طيبة وأخرى شريرة تملأ الكون، وقد تتلبس بعض الأفراد ويحتاج الأمر إلى إجراء عمليات (تربنة)[9] يتم من خلالها عمل ثقب في جمجمة الشخص لاعتقادهم بأن هذا الثقب يسمح لتلك الأرواح الشريرة بأن تغادر الجسد المصاب بسلوكياته الشاذة والغريبة, ويعيش بعض هؤلاء المصابين حين تلتئم جروحهم ، لكن في حالات أخرى قد لا تلتئم الجروح مما يؤدي إلى وفاة المريض أو إصابته بالجنون[10] .

وكان هناك أفراد محددون يمتلكون مهارات خاصة في إجراء عمليات التربنة، اذ رمزت هذه العملية في جوهرها إلى التخلص من الأشخاص المصابين بالاضطرابات العقلية, ويُعتقد أن تلك العمليات جاءت بعد ممارسات سابقة تمثلت في طرد الأفراد الذين يُعدُّون مختلين عقلياً, ان الاعتقاد السائد آنذاك أن الأرواح الشريرة التي تتلبس هؤلاء الأشخاص لديها القدرة على الانتقال من جسد إلى آخر، مما أثار خوفاً

---

13)بورتر, موجز تاريخ الجنون,ص21.
14)كيتل ,تاريخ الجنون,ص16.
15)عكاوي ,رحاب خضر ,الموجز في تاريخ الطب عند العرب,(دار المناهل, بيروت :د.ت),ص41.
16)احمد,سهيلة مجيد,الملح واستعمالاته في بلاد الرافدين, مجلة آداب الرافدين,(جامعة الموصل: 2019م),عدد79,ص517.
1) كيتل ,تاريخ الجنون,ص16.
2) عكاوي,الموجز في تاريخ الطب عند العرب,ص39.
3) اسعد, العبقرية و الجنون, ص43 – 44.
4) بورتر, موجز تاريخ الجنون,ص21.
5) اسماعيل, عزت سيد, انهيار العقل في مرض الفصام,(دار العلم, الكويت:1984م),ص13.
6) غانم, محمد حسن, الجنون بين الحقيقة و الخيال, اشراف:عبد الحميد ابراهيم,(د.م , د.ت),ص7.

من إمكانية انتقالها إلى الآخرين, بناءً على هذا الاعتقاد، تم النظر إلى هؤلاء الأشخاص على أنهم (ملعونون)، ويُعتقد أنه من الضروري التخلص منهم، إما عن طريق نفيهم أو قتلهم[1] .

وفي الحضارة الصينية القديمة كانت بعض طرائق علاج الجنون تستند إلى فكرة طرد الأرواح الشريرة، ومن أبرز الطرائق ما كان يقوم به (الشامان)[2] , في جلسات علاجية يحضر المريض عقلياً برفقة مجموعة من الأفراد، اذ يبدأ الشامان بتدخين التبغ بشراهة وتناول أجزاء من نباتات معينة، مثل الصبار, و بعد ذلك تُدق الطبول وفقاً لإيقاع محدد، ليدخل الشامان في حالة من فقدان الوعي الجزئي، مصحوبة بحركات غير طبيعية, من خلال هذه الطقوس يدّعي الشامان الكشف عن وجود الأرواح الشريرة، اذ يتقمص شخصية تلك الارواح او يتواصل معها بطقوس معينة للتعبير عن مطالبها حتى تغادر عقل المريض ,والشامان يتمتع بخصائص عدة، من ابرزها قدرته على استقبال الأحلام والظواهر النفسية الناتجة عن تناول النباتات والعقاقير ،والانعزال عن المجتمع لمدة من الزمن حتى يتمكن من التواصل مع الأرواح والتفاعل معها[3] .

ورغم اختلاف الأساليب، إلا أن الهدف الأساسي ظل ثابتاً؛ إذ إن هذه الطقوس كانت في نهاية المطاف شكلاً آخر من إهانة المريض عقلياً وتفاقم حالته؛ وان الشامان لم يكن أفضل حالاً من المريض، إذ كان يعاني من الهلوسة وربما الصرع, ويُعتقد أن الشامان قد يكون في الواقع شخصاً مريضاً نفسياً, وأن جلسات العلاج مجرد مخرج لانفعالاته، وربما وسيلة لعلاج نفسه[4] .

ثالثاً: مفهوم الجنون عند الفرس

في بلاد فارس كان هناك اعتقاد بأن الشياطين لها دور مهم في نشر الامراض من خلال الصراع الدائم بين الخير والشر[5]، اذ يتنازع إله الخير(هورا – مازدا)[6] مع إله الشر(أهريمان)[7] ، وهذا الصراع لم يكن يقتصر على العالم الروحي فقط، بل يظهر أيضاً في الجسم البشري، و تتصارع الصحة مع المرض, وكان الجنون يُفسر أحياناً على أنه نتيجة سيطرة قوى شريرة على الفرد, ومع ذلك لم يكن الجنون يُعدُّ دائماً شيئاً سلبياً فقد يُشار إلى حالات من الجنون المؤقت كنوع من الإلهام الإلهي[8], وتعامل الطب الفارسي مع الأمراض العقلية بطرائق متنوعة، منها ما كان يعتمد على الطقوس الدينية وتارةً ما يعتمد على الطب التقليدي, اذ كان هناك ثلاثة أنواع مختلفة من طرائق العلاج وهي طب الجراحة، طب العلاج بالأعشاب والاغذية والعقاقير، وطب الكلام، ويقصد به التلاوات والصلوات المقدسة التي تجلب السكينة للروح[9] ,وكان الكهنة في تلك المدة يعالجون المرضى بمزيج من السحر والرقى، ويعتمدون بشكل كبير على التعاويذ والرقى، معتقدين أن هذه الطقوس الروحية قد تسهم في علاج الأمراض أو على الأقل لن تسبب ضرراً مثل العقاقير الطبية، وحجتهم في هذا ((أن الرقى، إن لم تشف من المرض، فلا تقتل المريض))[10], وان ارتباط المرض بروح الشر جعلهم ينظرون للمجانين بأنه منبوذون اجتماعياً وان الآلهة لا تكتفي بنبذهم بل تصر على انهم يجب الا يقدموا لها القرابين((اصحاب النوبات المصروعين والمجانين يجب على هؤلاء الا يقدموا لي القرابين))[11] ,هذا الاعتقاد عكس تفكيراً قديماً بأن المرض ليس فقط مسألة جسدية، بل أيضاً روحانية، وأن الشفاء يمكن أن يأتي من تناغم الروح مع القوى الإلهية.

رابعاً: مفهوم الجنون عند الاغريق و الرومان:

كانت حضارة الاغريق حضارة فكر وفلسفة, وكانوا يعتقدون ان انفعالات الفرد ورغباته والقوى الخفية في الكون هي سبب الاضطرابات العقلية[12], اعتقد الإغريق أن بعض أنواع الجنون كانت ذات طابع إلهي ومقدس، اذ كانوا يعتقدون أن الآلهة قد تصيب البعض

---

7) غانم, الجنون بين الحقيقة و الخيال,ص6.

8) الشـامانية: نظام ديني وروحي قديم يعتمد على الاعتقاد بوجود أرواح أو قوى غير مرئية تؤثر في العالم الطبيعي, يُعدُّ الشـامان وسـيطاً بين العالم البشـري والعوالم الروحية، ويقوم بأدوار متعددة تشـمل العلاج الروحي والجسـدي، التنبؤ، واسـتدعاء الأرواح لطرد الشـر أو طلب الحماية, في معتقدات الشـامانية، الأرواح تكون جزءاً من الطبيعة والكون، وتوجد في الحيوانات، والأشجار، والجبال، والظواهر الطبيعية والشامان يستخدم هذه الأرواح لعلاج الأمراض الجسدية والنفسية التي يُعتقد أنها ناجمة عن تأثير الأرواح أو الشياطين؛ الماجدي ,خزعل, اديان و معتقدات ما قبل التاريخ, (دار الشروق, عمان:1997م),ص 51– 52.

9) غانم, الجنون بين الحقيقة و الخيال,ص6.

10) غانم, الجنون بين الحقيقة و الخيال,ص7.

1) يحيى,السحر والطب في الحضارات القديمة,ص94 – 95.

2)هورا مازدا: الاله الاوحد الذي يمثل الخير والنور, يكتسي بقبة السماوات الصلبة يتخذها لباساً له وجسمه هو الضوء والمجد الأعلى، وعيناه هما الشمس والقمر, ديورَانت, ويليام جميس, قصة الحضارة, ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرين ,تقديم: محيي الدين صابر, (دار الجيل، بيروت: ١٩٨٨م),428/2.

3)أهريمان: إله الشـر والظلمة وحاكم العالم السـفلي، خالق المعاصـي والآثام والثعابين عن طريق مخلوقاته يحاول نشـر الفسـاد وإحداث الفوضـى والاضـطرابات في العالم، فهو عن طريق الكواكب السبعة ينشر قوى الشر في الطبيعة حتى تسبب التعاسة وتجلب الشقاء لبني البشر, عصفور, محمد أبو المحاسن, معالم حضارات الشرق الأدني القديم, دار النهضة العربية للطباعة والنشر,(بيروت:1987م),ص281.

4) كيتل ,تاريخ الجنون,ص16.

(5) السامرائي, مختصر تاريخ الطب العربي,62/1.

6) ديورَانت, قصة الحضارة, ,445/2.

7) يحيى ,السحر والطب في الحضارات القديمة,ص128.

1) الحبيب, لمحة موجزة عن تاريخ الطب النفسي,ص13.

بحالات من الجنون أو الشغف الإلهي، مثلما هو الحال في عبادة (الإله ديونيسوس)[1] ، الذي ارتبط بالطقوس والانفعالات العاطفية, هؤلاء الذين اعتبروا مجانين بفعل الآلهة كانوا يُحترمون في بعض الأحيان، وكان يُنظر إليهم على أنهم يحملون نوعاً من الحكمة أو البصيرة الخاصة, ومنه ما هو شيطاني يمت صاحبه بصلة الى الأرواح الخبيثة فينفرون منه ويتعهدونه بأنواع العذاب والقتل , وهنالك نوع ثالث وهم الأبرياء الذين مسهم الشيطان فقد كان الكهنة يعالجوهم بأنواع الطقوس الدينية وغيرها كالسحر والشعوذة مستغلين سذاجة المرضى[2] .

وساد الاعتقاد بأن الأمراض، بما في ذلك الأمراض النفسية، ناجمة عن دخول أرواح غريبة أو شريرة إلى أجساد الناس, وقد اسهمت المعتقدات الدينية والأسطورية في تعزيز هذه الأفكار، اذ ربط الإغريق الكثير من الظواهر الطبيعية والصحية بقوى خارقة للطبيعة، مثل الآلهة أو الأرواح الشريرة, أحد الأسباب التي أسهمت في انتشار تلك الخرافة هو استغلال حكام الإغريق لسذاجة الشعب، فقد عملوا على إقناعهم بأن الآلهة تمتلك قوى خارقة قادرة على إحداث المعجزات، مثل دخول الأرواح الشريرة إلى أجساد البشر والتسبب في إيذائهم, بهذه الطريقة، تمكن الحكام من تعزيز سيطرتهم على الشعب من خلال تعزيز هذه المعتقدات وتقديم أنفسهم كوسطاء بين الشعب والآلهة[3].

ولم يكن الجنون إلا حلول روح غريبة في جسم المصاب به، اذ كان يقال إن المجنون قد (خرج عن نفسه) اي فقد التميز والادراك، ولابد في هذه الحالات من القيام باحتفال يُطهر فيه الشخص, وكانت المنازل والهياكل والمدن بأجمعها في بعض الأحيان تُطهر بالماء أو الدخان، وان الكاهن نفسه خبير بأصول التطهير، وكان في مقدوره أن يطرد الأرواح الشريرة من الأجسام بالضرب على إناء من البرونز، أو بقراءة العزائم، أو بالسحر أو الصلاة[4] .

ان النظرة العامة لدى قدماء الاغريق للجنون كانت تتسم بربطه بالخطيئة واغضاب الآلهة وان هناك صلة بين عالم الغيبيات وبين الاعراض التي تظهر على سلوك المريض[5], وجاءت المحاولات العديدة لفهم المرض والعمل على علاجه بوسائل غيبية ووصفات علاجية بدائية واللجوء الى السحرة والمشعوذين , فقد بينت الحفريات التي اكتشفها العلماء, بعضاً من الادوات التي كان القدماء يستعينون بها لطرد الارواح الشريرة اعتماداً على الاعتقاد السائد بأن الجنون سببه قوة خارقة أو روح شريرة [6] .

وكانت معابد الشفاء المكرسة لإله الطب الإغريقي (أسكليبيوس)[7] منتشرة في ربوع الأراضي الإغريقية لكنها مقصورة على الخاصة من الناس ومن لم يكن يملك العلاج ظل يعالج بالطرائق القديمة[8],كان المريض يقضي ليلة في المعبد للاستشفاء، وخضعت المعابد لسيطرة الكُهان المقيمين الذين كانوا يستقبلون المرضى ويفسرون المرض على أساس الأحلام التي يرويها لهم المرضى, وكانت تلك الأحلام تتأثر على الأرجح بوجود الثعابين المقدسة التي كانت تؤدي إلى اضطرابات في نمط النوم لدى المرضى[9] , فضلاً عن استخدامهم بعض العقاقير والمراهم وقراءة التعويذات فكانوا يمزجون بين السحر والطب لعلاج المرضى[10], واعتقدوا بأن بعض الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات نفسية أو يُنظر إليهم على أنهم مجانين يمتلكون قدرات خارقة أو روحانية تمكنهم من شفاء الآخرين لذلك عُهد اليهم بعلاج الآخرين[11] .

إن المعابد في الواقع أماكن مخصصة للعلاج وتم تصميمها بشكل يتناسب مع مكانة الكهنوت وأُنشئت تلك المعابد في المناطق الجبلية بين الأشجار وبالقرب من الينابيع المعدنية,عندما كان المرضى يصلون إلى المعبد يخضعون لتحضير نفسي من خلال الاستماع إلى تراتيل تتعلق بأعمال الإله(أسكليبيوس) فضلاً عن تلاوة تعابير دينية وتقديم القرابين[12], بعد ذلك كان المريض يستحم في المياه ثم يتبعه علاج بزيت التدليك, وبعد أداء الطقوس الدينية كان يُسمح للمريض بالنوم في المعبد بالقرب من قدس الأقداس في الليل، بينما كان الكاهن يتنكر في هيئة الإله ويزور المريض ليقدم نصائح طبية إذا كان واعياً, أما إذا كان المريض نائماً أو يحلم فكان الكاهن ينتظره حتى يستيقظ ويسأله عن تفاصيل حلمه ليقوم بتفسيره, وإذا لم يحلم المريض ويُخبر بأن الثعابين المقدسة قد لعقت الجزء المصاب من جسده ثم يتلقى المريض نظاماً

---

2) الإله ديونيسوس: هو إله الخمر عند الاغريق القدماء وملهم طقوس الابتهاج, ديورَانت, قصة الحضارة,133/6.

3)سارتون, جورج, تاريخ العلم, ترجمة:ابراهيم بيومي و محمد كامل و اخرون,(المركز القومي للترجمة, القاهرة:2010م),211/2.

4) ديورَانت, قصة الحضارة,354/6.

5) ديورَانت, قصة الحضارة,355/6.

6) يحيى,السحر والطب في الحضارات القديمة,ص52—— 53.

7) السامرائي, مختصر تاريخ الطب العربي,70/1 ؛ اسعد, العبقرية و الجنون, ص43.

8) أسكليبيوس: أول من ذُكر من الأطباء الاغريق وأول من تكلم في شيء من الطب على طريق التجربة, وبلغ من امره أن أبرأ المرضى الذين يئس الناس من برئهم حتى زعموا أنه اله الطب والشفاء, ابن أبي أصيبعة, أحمد بن القاسم بن خليفة أبو العباس, عيون الأنباء في طبقات الأطباء, تحقيق: نزار رضا, دار مكتبة الحياة ,(بيروت:1995م),ص29, 33.

9) كاشدان ,شيلدون, علم نفس الشواذ, ترجمة:احمد عبد العزيز سلامة,ط2,(دار الشروق, القاهرة:1984م),ص28 ـ 29.

10) باينم, ويليام تاريخ الطب,ترجمة:لبنى عماد تركي,مراجعة:هبة عبد المولى احمد,مؤسسة هنداوي,(القاهرة:2016م),ص17.

11) كيتل , تاريخ الجنون,ص18 ؛ سارتون, تاريخ العلم,210/2—— 211.

12) كاشدان , علم نفس الشواذ,ص29.

13)كاشدان , علم نفس الشواذ,ص29؛ كمال, حسن,الطب المصري القديم,ط3,الهيئة المصرية العامة للكتاب,(القاهرة:1998م),ص17.

غذائياً ليواصل العلاج حتى يتم شفاؤه, وإذا لم ينم أو يحلم فقد يعدُّ ذلك علامة على نقص إيمانه أو عدم التزامه بالطقوس الدينية بشكل صحيح[(1)].

وأطلق الإغريق القدماء مسميات متعددة على حالات الجنون والاضطرابات النفسية، من بينها (المرض المقدس) والذي كان يقصدون به الصرع , اذ عُد ذلك المرض مقدساً بسبب الاعتقاد بأن نوبات الصرع كانت مرتبطة بالقوى الإلهية أو بالعقاب من الآلهة اما بالنسبة إلى(الهوس) و(الهذيان) فقد كانت مصطلحات أخرى استخدمها الإغريق لوصف حالات الجنون أو الاضطراب النفسي ,اذ يُنظر الى المرضى العقليين على أنهم قد قاموا بإغضاب الآلهة، ومن ثم فقد تم ازدراؤهم بل وحتى قتلهم، أما فيما يتعلق بالأفراد الآخرين الذين كانوا يعانون مما سمّي بالجنون المطبق فقد عُدّوا أحباء الآلهة والمقربين إليهم، لذلك أحيطوا بالرعاية والاهتمام(2)، وتم إلباسهم ملابس مزركشة وزينوا بأكاليل الزهور، وعدّوهم فئة مقدسة تُعلن الآلهة من خلالهم ارادتها ؛لان الساكن فيهم هو احد الآلهة المقدسين, في المقابل كان يُعامل المرضى الذين يُعتقد بأن أرواحاً شريرة قد استحوذت على أجسادهم بقسوة وازدراء شديد, ولم يكن الهدف من ذلك التعذيب الذي تعرض له أولئك المرضى إلحاق الأذى بهم، بل المقصود هو تعذيب الجن أو الأرواح الشريرة التي يُعتقد أنها تسكن جسده(3) .

ووجدّ لدى الاغريق القدماء ارتباط وثيق بين الجنون والإبداع الأدبي والفني، فقد عدّوا أن الجنون قد يكون دلالة على ارتباط الفرد بالقوى الإلهية، وبالأخص في مجالات الشعر والنبوءة، اذ كان الشخص المجنون غالباً ما يُصوّر على أنه شخصية مقدسة أو تمتلك قوى خارقة، وقد ارتبطت هذه الصورة بالمفاهيم الإلهية مثل العقاب الإلهي أو الهبة, فالمجنون في بعض الأساطير والقصائد يُعدُّ منبوذاً ولكنه أيضاً مصدر قوة خارقة أو إلهام، ويُنظر إليه على أنه يعاني من نوع من الابتلاء الإلهي أو العقاب على الخطايا, او يُذكر الجنون في سياق الأحداث التي تتضمن تدخل الآلهة والتأثير الإلهي على مصائر البشر، ما يعكس الاعتقاد بأن الجنون قد يكون وسيلة للآلهة للتعبير عن سخطها أو قوتها[(4)] .

وساد الاعتقاد ان الشخص العبقري شخص مجنون لأنه ليس كالأشخاص العاديين وعدُّوا هذا الجنون حالة شاذة يُصيب العباقرة واطلقوا عليهم تسمية (البلهاء الحكماء) والجنون الذي يرتبط بالعباقرة لم يكن يُنظر إليه كحالة من التهكم أو الاحتقار، بل كان يُعدُّ علامة على وجود قوة أو إلهام داخلي يتجاوز قدرة الإنسان العادي على الفهم, فالعبقري المجنون كان شخصاً يمتلك رؤية خاصة أو قدرة خارقة على الإبداع والابتكار[(5)], فقيل عن سقراط (470 ــــ 399ق.م) بأنه (مجنون ذو عقل كبير)، كما اتُهم ديمقريطس(460 ــــ 370 ق.م) بالجنون بسبب ضحكه المتواصل حتى أن الناس استدعوا الطبيب أبقراط لعلاجه، لكن أبقراط اكتشف أن ديمقريطس لم يكن مجنوناً، بل كان يضحك بسبب الحماقات التي يرتكبها المجتمع, وقد تبين له أن ديمقريطس هو من أكثر الناس حكمة، و يلجأ الى الضحك كوسيلة لتحمل ومواجهة التناقضات التي يراها في المجتمع[(6)] .

وقد تطورت دلالة الجنون عند الفلاسفة الاغريق فسقراط [(7)] يرى ان الجنون نوعان, جنون شرير وجنون من حيث إنه هبة إلهية وهذا النوع ينقسم إلى ثلاثة انواع هي (التنبؤ والتطهير بالأسرار والصلوات لمنع الشر, الشعر)[(8)] .

اما افلاطون(427 ــــ 347ق.م)(9) فقد ارتبط عنده الجنون بالهوس بوصفه حالة مرتبطة بالإلهام الإلهي والإبداع، ويعدّه نوعاً من(الجنون المقدس) الذي يمكن أن يكون مصدراً للحكمة والابتكار, وذكر أربعة أنواع من الجنون الإلهي(10)، وكل نوع منه يمنح صاحبه قدرات فائقة، وهي: الجنون الإلهامي يظهر في شكل القدرة على التنبؤ بالمستقبل هذا النوع من الجنون يعدُّ مصدراً للحكمة والمعرفة(11), والجنون الشعري يرتبط بالإلهة (ميوز) ملهمة الفنون والشعر, ووفقاً لأفلاطون فإن الشعراء يكتبون أعمالهم العظيمة تحت تأثير الجنون الإلهي، وهو ما يمنحهم إلهاماً يتجاوز المعرفة الإنسانية العادية(12),الجنون الطقوسي أو التطهيري ويعبر عن حالات الهياج الطقوسي التي تؤدي إلى التطهير الروحي للفرد، مما يسهم في تحسين حالة الروح والتحرر من الأعباء الجسدية(13) ,ويعد أكثر الأنواع تأثيراً في المحاورة،

---

[1]) عكاوي,الموجز في تاريخ الطب عند العرب,ص28.

[2]) عبد الحميد, شاكر, الادب والجنون, ,دار غريب,(القاهرة:1998م),ص10.

[3])اسعد, العبقرية و الجنون, ص42.

4)كيتل , تاريخ الجنون,ص18 ــ 19.

5)اسعد, العبقرية و الجنون, ص18.

6عبد الحميد, شاكر, الفكاهة والضحك, سلسلة عالم المعرفة(289),المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب,(الكويت:2003م),ص64.

[7])سقراط: فيلسوف اقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها وأعلن بمخالفة اليونانيين في عبادتهم الأصنام وقابل رؤساءهم بالحجاج والأدلة الألهية, صاعد

8)الاندلسي, ابو القاسم محمد بن احمد, طبقات الامم, تحقيق: الاب لويس شيخو اليسوعي,المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعين,(بيروت:1912م),ص23.

وهبة, مراد, المعجم الفلسفي,(دار قباء الحديثة, القاهرة:2007م),ص252.

9)افلاطون: كان فيلسوف يوناني كان تلميذاً لسقراط وأستاذاً لأرسطو, صاعد الاندلسي,طبقات الامم,ص23.

10) افلاطون ,محاورة فايدروس,تقديم وترجمة:اميرة حلمي مطر,(دار غريب, القاهرة:2000م),ص59

11) افلاطون ,محاورة فايدروس, ص 59,

[12])افلاطون ,محاورة فايدروس,ص61 ـ 62.

1) افلاطون ,محاورة فايدروس, ص60.

هذا النوع من الجنون يتصل بالجمال الإلهي(1)؛ إن أفلاطون يعيد تقييم مفهوم الجنون ليظهره كقوة إيجابية، اذ ربطه بالحب الإلهي والشعر، والفن، وعدّه جزءاً أساسياً من التجربة الإنسانية الإبداعية.

إن التحول الكبير الذي حدث في المجتمع الاغريقي في القرن (الرابع قبل الميلاد) عندما بدأ الفلاسفة بدراسة مفهوم الروح والامراض التي تتعلق بها من منظور فلسفي وطبي[2], وظهر التفسير الواقعي للجنون لدى الفلاسفة منهم طاليس الملطي(٦٢٤ - ٥٤٧ ق.م) وأنكسماندر (٦١٠ - ٥٤٦ ق.م) وأنكسمانس (٥٨٨ - ٥٢٥ ق.م) اذ أقاموا تفسيرهم جميعا للوجود على أساس ان هناك مادة أزلية لم يخلقها أحد تعمل خلف كل شيء بالطبيعة[3].

وبدأ التحول التدريجي في فهم الجنون وعلاجه من الأفكار البدائية التي تعزو الاضطرابات العقلية إلى الأرواح الشريرة أو القوى الخارقة نحو فهم علمي يستند إلى الخلل الوظيفي في الدماغ، لاسيما بعد ان استطاع ابقراط (460-357ق.م)[4] اجراء دراسة طبية منفصلة عن الدين داحضة فكرة الارواح الشريرة وتأكيده على وجود خلل في وظائف الجسم ولا علاقة بلعنة الآلهة, ورأى أن الأمراض النفسية، مثل غيرها من الأمراض الجسدية، تنبع من مشاكل داخلية في الجسم وليس من تأثيرات خارجية[5].

وقد انتقد ابقراط في مؤلفه (المرض المقدس) وبأسلوب لاذع كل من ادعى ان الجنون بسبب الارواح الشريرة قائلاً:

((ارى أن اولئك الذين يقرنون داء الصرع بالألوهية ينتمون الى فئة الدجالين المدعين و السحرة المشعوذين الذين يريدون ايهام الناس بأنهم يعقدون صفقات مع الآلهة وامثال هؤلاء اتخذوا من الالوهية ستاراً لهم لأنهم لا يجدون علاجاً ناجعاً لهذا الداء، ومن أجل هذا يُطلقون عليه اسم المرض المقدس حتى لا ينكشف للناس جهلهم الفاضح))[6].

ويرى أبقراط أن الاضطرابات العقلية ناتجة عن علل طبيعية في الجسم وهي عبارة عن زيادة في الاخلاط[7]، وأكد على

((إن السرور والفرح والضحك واللعب من جهة ، والحزن والأسى والحرمان والإشفاق من جهة أخرى، إنما تنشأ جميعا بالمخ , ويصاب الشخص بالجنون والهذيان أو يمتلكه الخوف والهلع سواء خلال الليل أم خلال النهار إذا أصيب المخ بخلل ما))[8].

تركزت نظرية ابقراط على الاخلاط البشرية وهي جزء أساسي من الفلسفة الطبية القديمة ,وفقًا لهذه النظرية يتكون جسم الإنسان من أربعة أخلاط أساسية: الدم، البلغم، الصفراء، والسوداء[9]، وكانت تلك الأخلاط تُربط بأمزجة محددة وأيضاً بالعناصر الأربعة: الهواء، الماء، التراب، والنار؛ فالدم يرتبط بالتفاؤل والحيوية ويرتبط هذا الخلط بعنصر الهواء, والبلغم يتصف بالتبلد والهدوء ويرتبط هذا الخلط بعنصر الماء, والصفراء يمثل المزاج الغاضب و يرتبط بعنصر النار, السوداء تمثل المزاج المكتئب أو السوداوي ويرتبط بعنصر التراب, و أن اختلال التوازن بين هذه الأخلاط هو ما يسبب الأمراض الجسدية أو النفسية، وأن توازنها يؤدي إلى صحة جيدة ,واعتقد أن التفاصيل الجزئية لكل نمط من هذه الأنماط الأربعة إنما ترتبط بكل من البيئة الطبيعية (المناخ والظروف الجغرافية) وبتأثير العوامل الاجتماعية[10].

وفي الحضارة الرومانية لم يختلف الحال على ما هو عليه عند الاغريق، فقد كان يُعتقد أن الجنون ناتج عن تلبس الأرواح الشريرة , و كانت معالجة تلك الحالة تعتمد على التعويذات والرقى والصلوات كوسائل علاجية, فضلاً عن الاعتقاد بأن الجنون يمكن أن يكون ناتجاً عن عوامل أخرى، لكن التفسيرات الروحية كانت تؤدي دوراً كبيراً في التعامل مع هذه الحالات؛ وسادت افكار ابقراط الطبية في روما واهتم الرومان بالجوانب العملية والاجتماعية والعلاجية للطب النفسي, وقسموا الامراض النفسية الى امراض قابلة للشفاء واخرى غير قابلة للشفاء, واصدروا الكثير من القوانين التي تحمي المرضى النفسانيين وتحفظ حقوقهم كتعيين وصي لإدارة ممتلكاتهم واموالهم وعدم محاسبتهم جنائياً باعتبارهم غير مسؤولين عن افعالهم واكدوا على ضرورة معاملتهم بالرفق واللين وبذلك فقد سبقوا باقي الحضارات[11].

تأثرت الحضارة الرومانية بمفاهيم أبقراط الطبية، وطورت بعض الأفكار الأساسية التي طرحها عن الصحة العقلية, وركز الرومان بشكل خاص على حالات الهوس أو الجنون من حيث أسبابها وأنواعها وطرائق علاجها و وصفوها:

---

2)(افلاطون ,محاورة فايدروس,ص25, 39.
3) كيتل , تاريخ الجنون,ص25.
4) اسعد, العبقرية و الجنون, ص47.
5)ابقراط: طبيب يوناني عدُّ من أبرز الشخصيات في تاريخ الطب عبر التاريخ، وهو سابع الأطباء العظام في تاريخ اليونان, ابن أبي أصيبعة, عيون الأنباء في طبقات الأطباء,ص43.
6) غانم, الجنون بين الحقيقة و الخيال,ص7.
7ديورَانت, قصة الحضارة,187/7.
8) كاشدان , علم نفس الشواذ,ص14.
9)اسعد, العبقرية و الجنون, ص48.
10) اريكسون, توماس, محاط بالحمقى,ترجمة:عمر فتحي,دار صفصافة للنشر,(الجيزة:2021م),ص264.
11) بورتر, موجز تاريخ الجنون,ص50 — 51؛ ديورَانت, قصة الحضارة,188/7؛ سارتون, تاريخ العلم,2/ 221—222.
12) كيتل , تاريخ الجنون,ص42؛ الحبيب, لمحة موجزة عن تاريخ الطب النفسي,ص15.

((بأنها اما تصيب الانسان في منتصف العمر او تباغته بشكل مفاجئ واحياناً تحدث الاصابة بشكل تدريجي وعندما يصاب الشخص بالهوس تظهر عليه علامات الغضب او الفرح والتصرف بأسلوب طائش وغير متزن))[1].

ان جهودهم في تفسير هذه الحالات لم تكن فقط لدراسة الأعراض، بل كانت تركز أيضاً على إيجاد طرائق لعلاج هذه الاضطرابات، سواء من خلال التدخلات الطبية أو بعض الأساليب النفسية البدائية التي كانت تُمارس في ذلك الوقت, وكذلك تم الفصل بين امراض الروح(التي تدخل ضمن نطاق الفلسفة) وامراض الجسد(التي تدخل ضمن مجال الطب)[2], وقدموا مزيجاً من العلاجات التي كان بعضها مستخدماً عند اليونان, اذ تم اعداد وصفات علاجية للمرضى, واتباع طرائق لعلاج حالات الاضطراب النوعي للأمزجة باستخدام ادوية و اعشاب وكان يوصف للمريض المراهم الشمعية المصنوعة من الشمع والزيت او الكمادات المبللة والفصد واستخدام بعض المهيجات كالمواد الكاوية ومسببات احمرار الجلد التي يُعتقد انها تسحب الاخلاط الفاسدة من الجسم[3].

و اكدوا على مداوة النفس لتأثيرها على الجسد فيجب تفادي اثارة المريض, ولابد من الترويح عنه ,وتخليصه من الافكار المسيطرة عليه, ويمكن اللجوء الى التعنيف و التجويع والتقييد بالسلاسل والجّلد بالسوط عند الضرورة, ولاسيما إن كان الهدف من ذلك (قمع وقاحة المرض), ومن الوسائل الاخرى اثارة الفزع لدى المريض لاعتقادهم ان حدوث اي اضطراب في ذهن المريض مفيد في علاجه ,فضلاً عن وضع المصابين في اماكن هادئة وجدرانها خالية من الرسوم وهذا العزل يتم في محيط العائلة لأنه لم يكن هناك اماكن لعزل المرضى العقليين[4] .

ان سقوط الامبراطورية الرومانية ادى إلى تراجع التقدم العلمي الذي كان قد أحرزته الحضارات القديمة، بما في ذلك الطب, وساد الاعتقاد بأن الاضطرابات العقلية ناتجة عن التلبس بالجن أو السحر، مما أدى إلى استخدام طرائق قاسية في محاولة لعلاج المرضى، مثل التعذيب، ظناً بأنها وسائل فعالة للعلاج؛ وفي ظل سيطرة الكنيسة والاعتماد الكبير على المعتقدات الدينية، تراجعت الأبحاث العلمية والتجريبية مما أدى إلى انحسار العلم والفكر في العصور الوسطى في أوروبا[5], وتم الاعتقاد بأن الأمراض العقلية هي حالة مس او تلبس تقوم بها الشياطين نتيجة لممارسة السحر الاسود لذلك كانت احدى الطرائق للتخلص من المجانين هي احراقهم احياء بداعي تطهير الجسد من الارواح الشريرة [6] ؛ فالمفكر الفرنسي ميشيل فوكو[7] (ت1984م) أشار إلى كيفية تعامل الغرب مع المجانين في تلك الحقبة اذ غالباً ما كانوا يُعدَّون حالات شيطانية أو وحوشًا يجب إبعادهم عن المجتمع، وبين كيف كان الغرب يتعامل مع المجانين بطرائق قاسية، مثل العزل القسري واشكال الاقصاء الاخرى((فهم بلا غذاء كافٍ محرومون من ماء يروي عطشهم, محرومون من الاشياء الضرورية للحياة, يتكومون في فضاءات ضيقة عفنة بدون هواء ولا نور)) .

يمكن القول إن مفاهيم أبقراط عن الصحة العقلية وتحديداً الهوس أو الجنون قد وجدت طريقها إلى الحضارة الرومانية، اذ طورت واصبحت أكثر شمولاً اذ ركز الرومان على دراسة الأسباب والأعراض بطرائق أكثر منهجية[8] ، مما اسهم في تأسيس نظرة متقدمة نحو الأمراض النفسية عبر مزج الفهم الفلسفي مع الملاحظات الطبية، وكان الاهتمام بالجوانب السلوكية والعاطفية للمصابين بالهوس بداية لفهم أكبر للصحة النفسية، وهو ما شكل الأساس لبعض المفاهيم التي تطورت على مر تلك العصور.

خامساً: مفهوم الجنون عند العرب في العصر الجاهلي

ان الوقوف على تاريخ الجنون في العصر الجاهلي ليس امر ميسوراً, فالمعلومات المتوفرة لا تفي بالغرض ومن الصعب تتبع مسارها المنتظم , لكن يمكن التخمين من خلال الاطلاع على بعض المواقف والاحداث التي لها دلالاتها على ذلك [9] ؛ ففي الجاهلية كان يُعتقد أن الجنون ناتج عن فقدان العقل أو جزء منه، وكانوا ينسبونه لأسباب عدة, من أبرز هذه الأسباب هو تلبس الجن بالإنسان، والذي قد يحدث وفق معتقداتهم بسبب السحر أو العشق أو العين, كما كانوا يعتقدون أن الآلهة قادرة على إفقاد الإنسان عقله، مما يجعله في حالة من الاضطراب والتردد والعزلة[10] ,كانوا يعتقدون أن الجن تتسلط على الإنسان إذا أهمل حقوقها، وبالتالي كانوا يلجأون إلى تقديم القرابين إلى الآلهة في محاولة لإرضائها ورفع البلاء عن الشخص المصاب بالجنون, كما كانوا يلجأون إلى الرُقى والتعويذات لطرد الجن وحمايتهم من أذاه, ومن

3) كيتل , تاريخ الجنون,ص37.

4) بورتر, موجز تاريخ الجنون,ص 59 ــ 60.

5) كيتل , تاريخ الجنون,ص44.

6) كيتل , تاريخ الجنون,ص43 ــ45.

7) اسعد, العبقرية و الجنون, ص49.

8) عبد الحميد, الادب والجنون,ص13 ؛ بورتر, موجز تاريخ الجنون,ص10.

9) فوكو, ميشيل, تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي, ترجمة: سعيد بنكراد ,(المركز الثقافي العربي, المغرب:2006م) ,ص70.

10) كيتل , تاريخ الجنون,ص37.

11)احمد الحسين, ادب الحمقى و المتحامقين في العصر العباسي, منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب,(دمشق:2021م),ص13.

1)أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ , كتاب الحيوان, تحقيق: عبد السلام هارون, ط2, مطبعة مصطفى البابي الحلبي,(مصر:1967م),200/6- 218.

هذه الاساليب المستخدمة كانت (النُشرة)، وهي رقية تُستخدم لعلاج المجنون، و(المعاذة) أو (المعاذات)، وهي تعويذات تستخدم للحماية من الفزع والجنون [1]؛ في مخيلتهم الذهنية أن الجن يمكن أن تؤثر في سلوك الإنسان وتسيطر عليه إما بطريقة سلبية أو إيجابية, ففي التأثير السلبي، يُقال إن الشخص المسلط عليه الجن يفقد إرادته ويصبح منبوذاً في مجتمعه، مما يجعله مثاراً للشفقة أو السخرية, أما في الجانب الإيجابي، فكان يُعتقد أن الشخص الذي يتمكن من تسخير قوى الجن لصالحه يكتسب نفوذاً وقوة، مما يجعله مستبداً أو صاحب سطوة على قومه, فضلاً عن وجود فكرة شائعة بأن الجن تُلهم الشعراء[2] ، وأن الجن تنفث على ألسنتهم وتُلقي عليهم الأشعار، ما جعل بعض الشعراء يعتقدون بأن شعرهم احرف نارية تلقي بها الجن على السنتهم, وأنهم إنما يتناولون من الغيب فهم فوق ان يُعَدُّوا من الناس ودون أن يحسبوا من الجن[3] .

وقد بلغ من اعتقاد بعضهم بوجود شياطين الشاعر أن رووا قصصاً تذكر كيف أن شياطين الشعر كانوا يعلمون الشعراء قول الشعر حين ينحبس الشعر عنهم وحين تقف قريحتهم حتى ليصعب على الشاعر أن ينظم بيتاً واحداً، حتى إذا حار في أمره استجار بشيطانه وتوسل إليه لإنقاذه من محنته، فيرِقَّ شيطانه عليه، ويلقي عليه الشعر إلقاء فيأتي على لسان الشاعر وكأنه سيل متدفق[4] لذلك نجد بعض من الشعراء سموا شياطينهم بأسماء، فكان اسم شيطان الأعشى (مسحلا)، وقيل هو تابعه وجِنِّه الذي كان يوحي إليه بالشعر كما أشار هو إليه في شعره:

دَعَوْت خليلى مسحلا ودعوا لَهُ   جهنام جدعا للهجين المذمم [5]

وللأعشى أشعار أخرى ذكر فيها فضل شيطانه عليه في قول الشعر. من ذلك قوله:

وَمَا كنت ذَا قَول وَلَكِن حسبتني   إِذا مسحل يبرى لي القَوْل أنطق

خليلان فِيمَا بَيْننَا من مَوَدَّة   شريكان جنى وإنس موفق[6]

وقيل إن رجلًا أتى الفرزدق فقال: إني قلت شعرًا فأنظره، قال أنشد: فقال:

وَمِنْهُم عمرٌو المَحْمُودُ نائِلُهُ   كأنَّما رَأْسُهُ طِينُ الخَواتيِم

فضحك الفرزدق ثم قال: يا ابن أخي! إن للشعر شيطانين يدعى أحدهما (الهوبر) والآخر (الهوجل) فمن انفرد به الهوبر جاد شعره وصح كلامه، ومن انفرد به الهوجل فسد شعره، وإنهما قد اجتمعا لك في هذا البيت فكان معك الهوبر في أوله فأجدت، وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت[7] .

أن العرب في الجاهلية كانوا على وعي بتأثيرات السلوك البشري والحوادث الطبيعية أو النفسية، فضلاً عن الاضطرابات العضوية التي قد تؤدي إلى فقدان العقل جزئياً أو كلياً لمدة مؤقتة او دائمة, أدركوا أن هذه الحالات قد تكون قابلة للعلاج، فلجأوا إلى الطب العضوي باستخدام الأعشاب المتاحة في الجزيرة العربية، وأيضاً من خلال تحضير بعض الأطعمة الخاصة لعلاج المصابين؛ وفي المقابل، كانوا يمنعون بعض الأطعمة عن المجانين،اعتقاداً منهم أن هذه الأطعمة قد تؤدي إلى تفاقم حالتهم أو تورث الجنون[8] .

الخاتمة:

ان الاعتقاد السائد لدى الحضارات والامم القديمة عن الأمراض النفسية او السلوك المضطرب هو نتاج عوامل غامضة تفاوتت من حضارة إلى اخرى، وعلى الرغم من اختلافها الا انها اتفقت على وجود ارواح شريرة اعتُقد أنها تمتلك القدرة على دخول جسد الإنسان

---

2) ابن منظور, محمد بن مكرم بن علي, لسان العرب, ط3، (دار صادر, بيروت: 1994م)، 13/10.

3) الشاهر,عمار حازم محمد علي,الجلبي,آن تحسين محمود,الجن وشياطين الشعراء في الادب العربي,مجلة آداب الرافدين, (جامعة الموصل:2004م),عدد38,ص279.

4) الرافعي,مصطفى صادق ,تاريخ اداب العرب,مؤسسة هنداوي,(القاهرة:2012م),ص675.

5) العلي, جواد ,,المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام,ط2,(جامعة بغداد, بغداد:1993م),9/118-119.

6) الراغب الأصفهاني, أبو القاسم الحسين بن محمد ,محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء, تحقيق: عمر الطباع, دار الأرقم بن أبي الأرقم ,(بيروت:1999م),663/2.

7) الثعالبي, أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ,ثمار القلوب في المضاف والمنسوب, دار المعارف ,(القاهرة:د.ت),ص70.

8) القرشي, أبو زيد محمد بن أبي الخطاب, جمهرة أشعار العرب,تحقيق:علي محمد البجادي,نهضة مصر للنشر,(القاهرة:د.ت),ص63.

9) الجاحظ , الحيوان, 3/357 – 358؛ العلي,المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ,8/409 – 411.

والتأثير عليه, , فقد كان يُنظر إلى الأمراض العقلية من خلال عدسة المعتقدات الروحية والدينية, هذه التفسيرات أوجدت ممارسات اجتماعية مختلفة للتعامل مع المصابين بالجنون.

1. على الرغم من أن طرائق العلاج قد تبدو غير عقلانية، إلا أنها كانت تُعبر عن محاولات الإنسان البدائي لمواجهة ما كان يراه غامضاً وغير مفهوم , وان تفكير القدماء على ما فيه من خرافات، ساعد بشكل أو بآخر في تبلور وتطور أساليب علاج الأمراض النفسية, اذ كان انتباههم إلى الجمجمة والرأس، وعدّهما موطناً للشياطين والجن في حالة المرضى العقليين، خطوة أولى نحو الربط بين تلك الاضطرابات العقلية وبين الدماغ.

2. وفي الفكر الاغريقي القديم كان مفهوم الجنون معقداً ويعكس تداخل الأفكار الفلسفية والدينية والطبية, ففي الأساطير كان الجنون يُعدُّ أحياناً عقوبة إلهية أو نتيجة لتدخل الآلهة, ومن الناحية الفلسفية، رأى الفلاسفة الجنون كحالة من عدم التوازن العقلي، وفي المجال الطبي، تغير المفهوم من اعتباره تسلط الأرواح الشريرة إلى رؤيته كمرض ناتج عن عدم توازن السوائل الجسدية الأربعة (الأخلاط)، اذ كان يُعتقد أن هذا الخلل يمكن أن يؤدي إلى حالات نفسية غير طبيعية.

3. ان تلك المعتقدات القديمة، رغم بساطتها فتحت المجال تدريجياً لدراسة الاضطرابات النفسية من منظور علمي، وبدأت الأفكار تتبلور عن أن الدماغ هو المسؤول عن تلك الحالات وليس الجن أو الكائنات الغيبية, مما اسهم في تطوير اساليب علاجية فعالة وطرائق للتعامل مع المرضى العقليين.

4. في العصر الجاهلي كان يُعتقد أن الجنون ناتج عن فقدان العقل أو جزء منه، وكانوا ينسبونه لأسباب عدة, من أبرز تلك الأسباب هو تلبس الجن بالإنسان، والذي قد يحدث وفق معتقداتهم بسبب السحر أو العشق أو العين, كما كانوا يعتقدون أن الآلهة قادرة على إفقاد الإنسان عقله، مما يجعله في حالة من الاضطراب والتردد والعزلة كانوا يُعتقدون أن الجن تتسلط على الإنسان إذا أهمل حقوقها.

5. كما كانوا يلجأون إلى تقديم القرابين إلى الآلهة في محاولة لإرضائها ورفع البلاء عن الشخص المصاب بالجنون, وكذلك التجأوا إلى الرُقى والتعويذات لطرد الجن وحمايتهم من أذاه, ومن تلك الاساليب المستخدمة كانت النُشرة، وهي رقية تُستخدم لعلاج المجنون، و(المعاذة أو المعاذات)، وهي تعويذات تستخدم للحماية من الفزع والجنون .

References :

1. Abdul Hamid, Shaker.Humor and Laughter, World of Knowledge Series (289), National Council for Culture, Arts and Literature, (Kuwait;2003 AD).
2. Abdul-Halim, Nabila Muhammad. Landmarks of the Historical Era in Ancient Iraq, Dar Al-Maaref, (Cairo: 1983 AD).
3. Ahmed ,Akasha and Tariq. Contemporary Psychiatry, Anglo Egyptian Library (Cairo;2010 AD).
4. Ahmed, Suhaila Majeed. Salt and its uses in Mesopotamia, Journal of Adab Al-Rafidain, (University of Mosul: 2019), No. 79, p. 517.
5. AI-jahiz,Abu uthman amr bin bahr,(D.255AH/869Ad). The book of animals, Edited by;Abdul salam haroun,(Ejypt;1967Ad).
6. Akkawi, Rehab Khedr.A Brief History of Medicine Among the Arabs, Dar Al-Manahil,(Beirut;n.d).
7. Al-Ahmad, Sami Saeed, Religious Beliefs in Ancient Iraq, Academic Center for Research, (Beirut: 2013 AD).
8. Al-Amilim ,Muhammad ibn abd alsamad,(D980AH/1573AD). 2Al-Kashkulm ,edited by;Muhammad abd al-karimm , dar kutub,(Beirut;1998AD).

9. -Al-Hussein, Ahmed. The Literature of fools and idiots in the Abbasidera,publications of thegeneral Syrian book organization,(Damascus; 2021AD).
10. Al-Maalouf, Issa Iskandar.The History of Medicine in Ancient and Modern Nations, Hindawi Foundation (Cairo: 2014 AD).
11. Al-Majidi, Khazal.Religions and Prehistoric Beliefs, Dar Al-Shorouk, (Amman: 1997 AD).
12. Al-Samarrai, Kamal. A Brief History of Arab Medicine, Dar Al-Nidal (Beirut: n.d).
13. Al-Shaher, Ammar Hazem Muhammad Ali, Al-Jalabi, Ann Tahseen Mahmoud. The Jinn and the Demons of Poets in Arabic Literature, Journal of Adab Al-Rafidain, (University of Mosul: 2004), No. 38, p. 279.
14. Asad, Youssef Mikhail. Genius and Madness, Dar Ghareeb, (Cairo; 2001 AD).
15. Asfour, Muhammad Abu Al-Mahasin. Landmarks of the Civilizations of the Ancient Near East, Dar Al-Nahda Al-Arabiya for Printing and Publishing, (Beirut: 1987 AD).
16. Bainem, William.History of Medicine, translated by: Lubna Imad Turki, reviewed by: Heba Abdel Mawla Ahmed, Hindawi Foundation, (Cairo: 2016 AD).
17. Baqir, Taha. Introduction to the History of Ancient Civilizations, Dar Al-Warraq for Publishing, (Baghdad: 2011 AD).
18. Durant, William James.The Story of Civilization, translated by: Zaki Naguib Mahmoud and others, presented by: Mohi El-Din Saber, Dar Al-Jeel, (Beirut: 1988 AD).
19. Erikson, Thomas. Surrounded by Idiots, translated by: Omar Fathy,.Safsafa Publishing House, (Giza: 2021 AD).
20. Foucault, Michel.History of Madness in the Classical Age, Translated by: Saeed Benkrad, Arab Cultural Center, (Morocco: 2006 AD).
21. Ghalionji, Paul.Selections from the History of Medicine, Dar Al-Maaref, (Cairo: n.d).
22. Ghanem, Mohamed Hassan.Madness between Fact and Fiction, Supervisor: Abdel Hamid Ibrahim, (PhD, n.d).
23. History of Science, translated by: Ibrahim Bayoumi and Muhammad Kamel and others, National Center for Translation, (Cairo: 2010 AD).
24. Ibn Abi Usaybi'ah, Ahmad ibn al-Qasim ibn Khalifa Abu al-Abbas (D. 668 AH/1270 Ad). Uyun al-Anbaa fi Tabaqat al-Atibba (The Sources of Information on the Classes of Physicians), edited by Nizar Rida, Dar Maktabat al-Hayat (Beirut: 1995 Ad).
25. Ismail, Ezzat Sayed. The Collapse of the Mind in Schizophrenia, Dar Al-Ilm, (Kuwait: 1984 AD).
26. Kamal, Hassan.Ancient Egyptian Medicine, 3rd ed., Egyptian General Book Authority, (Cairo: 1998 AD).
27. Kashdan, Sheldon.Psychology of Perverts, Translated by: Ahmed Abdel Aziz Salama, 2nd ed., Dar Al-Shorouk, (Cairo: 1984 AD).

28. Kittel, Claude.The History of Madness from Antiquity to the Present Day, Translated by: Sarah Rajaei Youssef and Christina Samir Fikry, Hindawi Foundation (Cairo: 2014 AD)
29. Plato, Phaedrus Dialogue.presented and translated by: Amira Helmy Matar, Dar Ghareeb, (Cairo: 2000 AD)
30. Porter, Roy.A Brief History of Madness, translated by: Nasser Mustafa, Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage, (Abu Dhabi: 2012 AD).
31. Sa'id al-Andalusi, Abu al-Qasim Muhammad ibn Ahmad (D. 462 AH/1070 Ad). Tabaqat al-Umam (Classes of Nations), edited by Father Louis Cheikho, Jesuit, Catholic Press of the Jesuit Fathers, (Beirut: 1912 Ad).
32. Shaker Abdel Hamid.Literature and Madness, Dar Gharib, (Cairo: 1998 AD).
33. Sidqi, Muhammad Jaber.History of Arab Medicine, Center for Arabization of Health Sciences, (Kuwait: 2015 AD).
34. Sulaiman, Amer, Opinion on the emergence of religious beliefs in Mesopotamia, Journal of Adab Al-Rafidain, (University of Mosul: 2001), No. 34, p. 10
35. Yahya, Osama Adnan. Magic and Medicine in Ancient Civilizations, Ashurbanipal Book, (Baghdad: 2016 AD).